مدد له مع اللام كاملى له فان قلت كيف جاز ان يولى الله مددا فى الطغيان وهو فعل الشيطان
الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى قلت اما ان يحمل على انه لما منعهم الطافه
التى يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم تتزايد الرين والظلمة
فيها تزايد الانشراح والنور فى قلوب المومنين فسمى ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه
وتعالى لانه بتمكنه واقداره والتخلية بينه وبينما هوا عباده فان قلت فما حملهم على تفسير
المد فى الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم
الى ذلك خوف الاقدام على ان يسند الى الله ما اسند الى الشيطان ولكن المعنى الصحيح
ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر
كلام الله الباهر وكتابه المعجز ان يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها
وما وقع به التحدى سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة
على مراحل وتعضد ما قلناه قول الحسن فى تفسيره فى ضلالتهم يتمادون وان هولاء من
اهل الطبع والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرا زيد بن على رضى الله عنهما
فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان فان قلت اى نكتة فى اضافته
اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته
ايديهم وان الله برىء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا
لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم فلما اسند المد
على الطريقة التى ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع فى صدر
من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغى ولم
يقيده بالاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى والعمه مثل العمى الا ان العمى
عام فى البصر والراى والعمه فى الراى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى اين يتوجه
ومنه قولهم • سكك ارضا عمها لا امارات بها •
ومعنى اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به على سبيل
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر فيه •
• اخذت بالجمة راسا ازعرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا •
• وبالطويل العمر عمرا حيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا •
وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير
الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت
كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت
جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه فى ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة
فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله تعالى التى
فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلال
الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله واضل دريص نفقه
فاستعير للذهاب عن الحق والصواب فى الدين والربح الفضل على راس
المال ولهذا سمى الشف من قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ۞
والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وناقة

تجرة

١٤

تاجرة كانها من حسنها تبيع نفسها وثوب تجار نافق فان قلت
كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من
الاسناد المجازى وهو ان يسند الفعل الى شىء يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له
كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك
وخسرت جاريتك على الاسناد المجازى قلت نعم اذا دلت
الحال وكذلك الشرط فى صحة رايت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة
لم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى
الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة ۞
قلت هذا من الصنعة البديعية التى تبلغ بالمجاز
الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها
واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو
المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كان اذنى قلبه خطلا
وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه
اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار
مشاهدة معاينة ونحوه •
• ولما رايت النسر عز ابن داية • وعشش فى وكريه جاش له صدرى •
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش
والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم فى امه •
• فما ام الردين وان ادلت • بعالمة باخلاق الكرام •
• اذا الشيطان قصع فى قفاها • تنفقناه بالحبل التوام •
اى اذا دخل الشيطان فى قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل
المثنى المحكم يريد اذا حردت واساءت الخلق اجتهدنا فى ازالة غضبها
واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع اولا ثم ضم اليه التنفيق
ثم الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه وتعالى الشرا اتبعه ما يشاكله
ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته
فان قلت ما معنى قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا
مهتدين قلت معناه ان الذى يطلبه التجار فى
متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين
معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم
يبق فى ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به
من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم
يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار
المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما
اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون

Copyright King Saud University